العدد 1903 - السنة السابعة
الخميس 5 رمضان 1436 - الموافق 3 يوليو 2014
Thursday 3 July 2014 - No.1903 - 7th Year

الجامع الأزهر.. منارة في قلب التاريخ

قبل أكثر من ألف عام أنشأ القائد جوهر الصقلي بأمر من المعز لدين الله، الخليفة الفاطمي، ليؤدي دوره كمنارة للعلم للتعليم والبحث في علوم الدين والدنيا. ويعد الجامع الأزهر رابع جامع أنشئ في مصر وأول جامع أقيم بمدينة القاهرة. وتم وضع حجر الإساس له في 14 رمضان سنة 359 هجرية (971 م)، وتم بناؤه في سنتين. وافتتح الجامع للصلاة لأول مرة في رمضان سنة 361 هجرية. ولم يلبث أن تحول إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعصرية، ويجتمع فيها طلاب العلوم من كافة الأقطار. ومع تعاقب الحكام على حكم مصر ظل الجامع الأزهر موضع رعاية ملوكها وسلاطينها وأمرائها، مما نجم عنه ضياع أكثر معالمه الفاطمية، حتى أصبح بوضعه الحالي حصيلة إضافات من العمران ضمت إليه في أزمان متتابعة. فقد كان الأزهر أول ما أقيم يتكون من صحن المسجد الحالي المكشوف وبيت الصلاة المكشوف الذي كان يقع إلى شمال الصحن الحالي، وكان له جانبان أيمن وأيسر وفيهما مبان، فكان في كل من الجانبين الأيمن والأيسر ثلاثة أروقة. ثم توالت الإضافات والزيادات وأضيفت للمبنى أروقة جديدة حتى أصبح الأزهر اليوم متحفا للفن الإسلامي في مصر.

والجامع في شكله الحاضر بناء فسيح يقوم على أرض مساحتها 12000 متر مربع يحيط به سور مربع الشكل تقريبا وبه ثمانية أبواب، وله خمس مآذن مختلفة الطراز لأنها بنيت في عصور متفاوتة. وكان للأزهر عشرة محاريب أزيل أربعة منها وبقي الآن ستة منها تتفاوت في الجمال والإتقان المعماري. وللأزهر ثلاث قباب أجملها وأكبرها تلك التي تقوم فوق المدرسة الجوهرية. ويزين الجامع الأزهر 380 عمودا من الرخام الجميل.

عمارته

وكان الأزهر أول مسجد جامع أنشئ في مدينة القاهرة، لهذا كان يطلق عليه جامع القاهرة. وكان عبارة عن صحن تطل عليه ثلاثة أروقة، أكبرها رواق القبلة. وكانت مساحته وقت إنشائه تقترب من نصف مساحته الآن، ثم أضيفت له مجموعة من الأروقة ومدارس ومحاريب ومآذن، غيرت من معالمه، عما كان عليه من قبل. و أول عمارة له قام بها الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله.

عندما زاد في مساحة الأروقة، وأقام قبة جصية منقوشة نقشا بارزا. وفي العصر المملوكي عنى السلاطين المماليك به، بعدما كان مغلقا في العصر الأيوبي. بعده قام الأمير عز الدين أيدمر بتجديد الأجزاء التي تصدعت منه. وضم ما اغتصبه الأهالي من ساحته. واحتفل فيه بإقامة صلاة الجمعة في يوم 18 ربيع الأول سنة 665 هـ/19 من نوفمبر 1266م).

أنشأه جوهر الصقلي وافتتح في 14رمضان سنة 971 م

و في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، أنشأ الأمير علاء الدين طيبرس أمير الجيوش المدرسة الطيبرسية سنة (709هـ - 1309م)، وألحقها بالجامع الأزهر. وأنشأ الأمير علاء الدين ألفيا من أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 740 هـ/1340م المدرسة الألفية على يسار باب المزينين (الباب الرئيسي للجامع)وبها محراب بديع، و منارة رشيقة. أقام الأمير جوهر القنقبائي خازندار السلطان المملوكي الأشرف برسباي المدرسة الجوهرية في الطرف الشرقي من الجامع. وتضم أربعة إيوانات. أكبرها الإيوان الشرقي وبه محراب دقيق الصنع، وتعلو المدرسة قبة منقوشة. و قام السلطان المملوكي قايتباي المحمودي في عهد المماليك الجراكسة بهدم الباب بالجهة الشمالية الغربية للجامع. وأقام على يمينه سنة 873 هـ/1468م مئذنة رشيقة من أجمل مآذن القاهرة، ثم قام السلطان المملوكي قانصوه الغوري ببناء المئذنة ذات الرأسين، وهي أعلى مآذن الأزهر. و تعتبر طرازا فريدا من المآذن بالعمارة المملوكية.

وكان عبد الرحمن كتخدا قد أضاف سنة 1167 هـ/1753م مقصورة جديدة لرواق القبلة يفصل بينها وبين المقصورة الأصلية قوائم من الحجر ترتفع عنها ثلاث درجات، وبها ثلاثة محاريب.

أبواب الأزهر

وفي الواجهة الشمالية الغربية التي تطل حاليا على ميدان الأزهر أقام كتخدا بابا يتكون من بابين متجاورين، عرف أحدهما بباب المزينين لأن المزينين (الحلاقين) كانوا يجلسون أمامه. والثاني أطلق عليه باب الصعايدة و بجوارهما مئذنة لا تزال قائمة حاليا. ويؤدي البابان إلى رواق الصعايدة أشهر أروقة الأزهر. وسمي بالصعايدة، لأن الطلاب الصعايدة كانوا يقطنون بالرواق.

أعمال التجديد

وفي عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، جددت المدرسة الطيبرسية في شوال 1315 هـ/1897م. وأنشأ رواقا جديدا يسمى بالرواق العباسي نسبة إليه، وهو أكبر الأروقة. هو مسجد وجامعة في القاهرة في مصر، بناه جوهر الكاتب الصقلي (إلياس الصقلي) قائد جند أبي تميم معد بعد عام من فتح الفاطميين لمصر، وبعد أن أنشأوا قاعدة ملكهم الجديدة مباشرة (القاهرة جمادى الأولى عام 259 رمضان 361). وفتح للصلاة في شهر رمضان عام 361هـ (حزيران – تموز سنة 972) وبني المسجد في الجنوب الشرقي من المدينة على مقربة من القصر الكبير الذي كان موجودا حينذاك بين حي الديلم في الشمال وحي التراك في الجنوب. وكتب جوهر بدائر القبة نقشا تاريخه عام 360هـ. وتجد نصه في المقريزي (الخطط، ج2، ص273، س26-24) .وقد زاد المستنصر والحافظ في بناء المسجد شيئا قليلا. وتغير الحال في عهد الأيوبيين، فمنع صلاح الدين الخطبة من الجامع وقطع عنه كثيرا مما أوقفه عليه الحاكم، وانقضى نحو قرن من الزمان قبل أن يستعيد الجامع الأزهر عطف الولاة ووجوه البلاد عليه، ولما جاء الملك الظاهر بيبرس زاد في بنائه وشجع التعليم فيه وأعاد الخطبة إليه في عام 665هـ = 1267-1266م. وحذا حذوه كثير من الأمراء. ومنذ ذلك العهد ذاع صيت المسجد وأصبح معهدا علميا يؤمه الناس من كل فج، ولقي الأزهر من عناية البلاد الشيء الكثير، وزاد في مجده أن غزوات المغول في المشرق قضت على معاهد العلم هناك، وأن الإسلام أصابه في المغرب من التفكك والانحلال ما أدى إلى دمار مدارسه الزاهرة. وفي عام 702هـ (1303-1302م) خرّب زلزال المسجد، فتولى عمارته الأمير سيهاد ثم جددت عمارة الجامع في عام 725هـ (1325م) على يد محتسب القاهرة محمد بن حسن الأسعردي (من سعرد في إرمينيه). وحوالي ذلك العهد بنى الأميران طيبرس وألبغا عبد الواحد مدارس بالقرب من الأزهر، إذ بنى طيبرس المدرسة الطيبرسية عام 709هـ (1310-1309م) وبنى ألبغا عبد الواحد المدرسة الألبغاوية عام 740هـ (1340م) وقد الحقت هاتان المدرستان بالأزهر فيما بعد.

وكان قايتباي أكثر الناس رعاية للجامع الأزهر في القرن التاسع الهجري، فقد أكمل ما زاده في بناء المسجد عام 900هـ (-1494 1495م) أي قبل وفاته بوقت قصير. وكان له الفضل كذلك في إقامة منشآت للفقراء والعلماء، وقد أثبتت النقوش بيان ما زاده في المسجد ويذكر ابن إياس (ج2، ص167، ص22 وما بعدها) أنه كان لهذا الوالي عادة غريبة، فقد اعتاد الذهاب إلى الجامع الأزهر متخفيًا في زي مغربي ليصلي وليسمع ما يقوله الناس عنه، على أن ابن إياس لم يذكر لنا النتيجة التي أفضى إليها هذا العمل. وبنى قانصوه الغوري آخر المماليك (922-906هـ. 1516-1500م) المئذنة ذات البرجين. وفي العهد العثماني كان الفاتح سليم شاه كثيرا ما يزوره ويصلي فيه، وقد أمر بتلاوة القرآن فيه وتصدق على القراء المجاورين طلبة العلم الشرعي (تاريخ ابن إياس، ج3، ص116، و132 و246 و309 و313). وتجدر بنا الإشارة إلى الزاوية التي أقيمت ليصلي فيها المكفوفون وسميت بزاوية العميان، فقد بناها عثمان كتخدا القزدوغلي (قاصد أوغلي) في عام 1148هـ (-1735 1736م). ويظهر أنّ عبد الرحمن كتخدا المتوفي (عام 1190هـ1776-م) كان من أقارب عثمان القزدوغلي. وكان عبد الرحمن من أكثر الناس إحسانا إلى الأزهر. فقد بنى مقصورة وأحسن تأثيثها، وأقام قبلة للصلاة، ومنبرا للخطابة، وأنشأ مدرسة لتعليم الأيتام، وعمل صهريجا للمياه، وشيّد له قبرا دفن فيه، ووسط المباني الجديدة بين المدرسة الطيبرسية والمدرسة الألبغاوية (التي حرف اسمها إلى الإبتغاوية فيما بعد). ولم تكن النهضة في عهد محمد علي تعطف على الأزهر أوّل الأمر ولكن الخديويين في العهد الأخير بذلوا جهدهم للإبقاء على ما لهذا الجامع من مجد وصيت

التاريخ

استغرق بناء الجامع عامين وأقيمت فيه أول صلاة جمعة في 7 رمضان 361 هـ/972م. وفي سنة 378هـ/988م جعله الخليفة العزيز بالله جامعة يدرس فيها العلوم الباطنية الإسماعيلية للدارسين من إفريقيا وآسيا. وكانت الدراسة بالمجان. وأوقف الفاطميون عليه الأحباس للإنفاق منها على فرشه وإناراته وتنظيفه وإمداده بالماء، و رواتب الخطباء والمشرفين والأئمة والمدرسين والطلاب. وبعدما تولى صلاح الدين سلطنة مصر منع إقامة صلاة الجمعة به وجعله جامعا سنيا. وأوقفت عليه الأوقاف وفتح لكل الدارسين من شتى أقطار العالم الإسلامي. وكان ينفق عليهم ويقدم لهم السكن والجراية من ريع أوقافه. وكانت الدراسة والإقامة به بالمجان. وللأزهر فضل كبير في الحفاظ على التراث العربي بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد وعلى اللغة العربية من التتريك واللغة التركية أيام الحكم العثماني لمصر سنة 1517م وأيام محمد علي باشا سنة 1805.

دوره في الحياة السياسية

وعلاوة على دوره الديني كان للأزهر دوره وتأثيره في مجريات الأحداث السياسية التي مرت بمصر. فمنه كانت تنطلق المظاهرات المنددة بالاحتلال والعدوان، سواء في مصر أو البلاد الإسلامية، ولا تزال السلطات حتى الآن تحسب الحساب لإنطلاق هذه الهبات.

وكان للأزهر مواقفه المشهودة في التصدي لظلم الحكام والسلاطين المماليك لأن علماءه كانوا أهل الحل والعقد أيام المماليك. ففي سنة 1209هـ/1795م، يروي الجبرتي في يومياته بأن أمراء مماليك إعتدوا على بعض فلاحي مدينة بلبيس فحضر وفد منهم إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي وكان شيخا للأزهر وقتها. وقدموا شكواهم له ليرفع عنهم الظلم. فغضب وتوجه إلى الأزهر، وجمع المشايخ. وأغلقوا أبواب الجامع. وأمروا الناس بترك الأسواق والمتاجر. واحتشدت الجموع الغاضبة من الشعب. فأرسل إبراهيم بك شيخ البلد لهم أيوب بك الدفتردار، فسألهم عن أمرهم. فقالوا: نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات (الضرائب)، وخشي زعيم الأمراء مغبة الثورة فأرسل إلى علماء الأزهر يبرىء نفسه من تبعة الظلم، ويلقيها على كاهل شريكه مراد بك. وأرسل في الوقت نفسه إلى مراد يحذره عاقبة الثورة. فاستسلم مراد بك ورد ما اغتصبه من أموال. وأرضى نفوس المظلومين. لكن العلماء طالبوا بوضع نظام يمنع الظلم وبرد العدوان. و اجتمع الأمراء مع العلماء. وكان من بينهم الشيخ السادات والسيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ الأمير. و أعلن الظالمون أنهم تابوا والتزموا بما اشترطه عليهم العلماء. وأعلنوا أنهم سيبطلون المظالم والضرائب والكف عن سلب أموال الناس والإلتزام بإرسال صرة مال أوقاف الحرمين الشريفين والعوائد المقررة إليهم وكانوا ينهبونها. وكان قاضي القضاة حاضرا. فكتب على الأمراء وثيقة أمضاها الوالي العثماني وإبراهيم بك ومراد بك شيخا البلد.

عبدالناصر فوق المنبر

وفي عام 1956م قام الرئيس جمال عبد الناصر فوق منبر الأزهر ليعلن القتال ضد العدوان الثلاثي (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل).

يعد رابع جامع في مصر و أول مسجد جامع في مدينة القاهرة

رمضان والأزهر

وطوال تاريخه كان لشهر رمضان في الجامع الأزهر طابع خاص، حيث كان الحكام يتنافسون في إيقاف الأوقاف الكثيرة عليه. ولعب الجامع دورا مهما في التعليم وكفالة الأيتام وتحفيظ القرآن، وكانت تصرف فيه مبالغ كبيرة على طلاب العلم، عرفت باسم «الجراية». وفي رمضان كانت أيام البهجة تعم الشهر كله. فقد كان يصرف لطلابه «الكساوى»، وكان يصرف للطفل قميص وجبة وطاقية وقبقاب (حذاء من الخشب)، وفي بعض الأوقاف كان يستزاد من الخيرات في ذلك الشهر الكريم، وكان يصرف أيضا لأسرة الطالب الأطعمة والكساوى. وفي وقت الإفطار كانت كميات الطعام تزداد بشكل أكثر اتقانا، وتزداد كمية «الثريد» والحلوى، وفي نهاية الشهر كان يصرف للطلبة ما يشبه كعك العيد والمكسرات والتمر. وكان الأزهر يتلألأ في شهر رمضان ويسبح بالأنوار المبهرة، وفيه كانت تزداد كمية الشموع المضاءة والزيت اللازم لإضاءة القناديل وكان لهذه الزيادة حساب في الأوقاف الموقوفة في شهر رمضان. وكانت القناديل تتناثر في أرجاء المسجد من وقت الإفطار حتى السحور في مدخل المسجد والصحن ورواق القبلة الذي يجلس فيه الطلبة والمتعبدون يتلون القرآن والتواشيح حتى صلاة الفجر. وعلى مآذن الأزهر كان المؤذن يصعد ويبدأ في تلاوة التواشيح والتسابيح حتى وقت آذان الفجر، وكان هذا يتم يوميا في شهر رمضان. وحاليا نجد مائدة الرحمن التي تقام في الجامع الأزهر، في محاولة للتواصل مع تلك المظاهر العريقة، ويقصدها كثير من المصرين والسائحين الذين يأتون لزيارة المسجد باعتباره أثرا إسلاميا عظيما، ومنارة للعلم والعبادة.

نظام التعليم بالأزهر

شهد الأزهر أول حلقة درس تعليمي عندما جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان في (صفر 365 هـ/أكتوبر 975م) ليقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت. ثم قام الوزير يعقوب بن كلس الفاطمي بتعيين جماعة من الفقهاء للتدريس و أجري عليهم رواتب مجزية، وأقام لهم دورا للسكن بجوار المسجد. وكان يطلق عليهم المجاورون وبهذا اكتسب الأزهر لأول مرة صفته العلمية باعتباره معهدا للدراسة المنظمة. وظل الأزهر على هذا المنوال من تدريس الفقه الشيعي وتعليم وتأهيل دعاة مذهب الفاطميين. حتى توقفت الدراسة به تماما

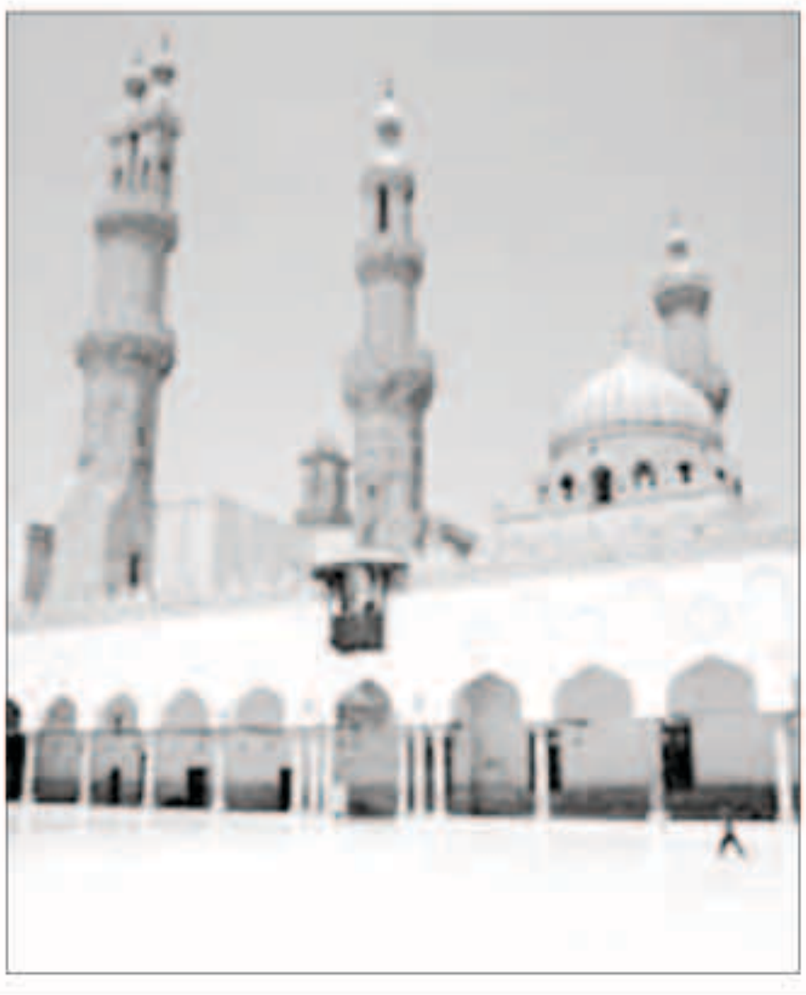

فقل أكثر من ألف عام أنشأ القائد جوهر الصقلي بأمر من المعز لدين الله، الخليفة الفاطمي، ليؤدي دوره كمنارة للعلم للتعليم والبحث في علوم الدين والدنيا. ويعد الجامع الأزهر رابع جامع أنشئ في مصر وأول جامع أقيم بمدينة القاهرة. وتم وضع حجر الإساس له في 14 رمضان سنة 359 هجرية (971 م)، وتم بناؤه في سنتين. وافتتح الجامع للصلاة لأول مرة في رمضان سنة 361 هجرية. ولم يلبث أن تحول إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعصرية، ويجتمع فيها طلاب العلوم من كافة الأقطار. ومع تعاقب الحكام على حكم مصر ظل الجامع الأزهر موضع رعاية ملوكها وسلاطينها وأمرائها، مما نجم عنه ضياع أكثر معالمه الفاطمية، حتى أصبح بوضعه الحالي حصيلة إضافات من العمران ضمت إليه في أزمان متتابعة. فقد كان الأزهر أول ما أقيم يتكون من صحن المسجد الحالي المكشوف وبيت الصلاة المكشوف الذي كان يقع إلى شمال الصحن الحالي، وكان له جانبان أيمن وأيسر وفيهما مبان، فكان في كل من الجانبين الأيمن والأيسر ثلاثة أروقة. ثم توالت الإضافات والزيادات وأضيفت للمبنى أروقة جديدة حتى أصبح الأزهر اليوم متحفا للفن الإسلامي في مصر.

والجامع في شكله الحاضر بناء فسيح يقوم على أرض مساحتها 12000 متر مربع يحيط به سور مربع الشكل تقريبا وبه ثمانية أبواب، وله خمس مآذن مختلفة الطراز لأنها بنيت في عصور متفاوتة. وكان للأزهر عشرة محاريب أزيل أربعة منها وبقي الآن ستة منها تتفاوت في الجمال والإتقان المعماري. وللأزهر ثلاث قباب أجملها وأكبرها تلك التي تقوم فوق المدرسة الجوهرية. ويزين الجامع الأزهر 380 عمودا من الرخام الجميل.

عمارته

وكان الأزهر أول مسجد جامع أنشئ في مدينة القاهرة، لهذا كان يطلق عليه جامع القاهرة. وكان عبارة عن صحن تطل عليه ثلاثة أروقة، أكبرها رواق القبلة. وكانت مساحته وقت إنشائه تقترب من نصف مساحته الآن، ثم أضيفت له مجموعة من الأروقة ومدارس ومحاريب ومآذن، غيرت من معالمه، عما كان عليه من قبل. و أول عمارة له قام بها الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله.

عندما زاد في مساحة الأروقة، وأقام قبة جصية منقوشة نقشا بارزا. وفي العصر المملوكي عنى السلاطين المماليك به، بعدما كان مغلقا في العصر الأيوبي. بعده قام الأمير عز الدين أيدمر بتجديد الأجزاء التي تصدعت منه. وضم ما اغتصبه الأهالي من ساحته. واحتفل فيه بإقامة صلاة الجمعة في يوم 18 ربيع الأول سنة 665 هـ/19 من نوفمبر 1266م).

أنشأه جوهر الصقلي وافتتح في 14رمضان سنة 971 م

و في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، أنشأ الأمير علاء الدين طيبرس أمير الجيوش المدرسة الطيبرسية سنة (709هـ - 1309م)، وألحقها بالجامع الأزهر. وأنشأ الأمير علاء الدين ألفيا من أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 740 هـ/1340م المدرسة الألبغاوية على يسار باب المزينين (الباب الرئيسي للجامع)وبها محراب بديع، و منارة رشيقة. أقام الأمير جوهر القنقبائي خازندار السلطان المملوكي الأشرف برسباي المدرسة الجوهرية في الطرف الشرقي من الجامع. وتضم أربعة إيوانات. أكبرها الإيوان الشرقي وبه محراب دقيق الصنع، وتعلو المدرسة قبة منقوشة. و قام السلطان المملوكي قايتباي المحمودي في عهد المماليك الجراكسة بهدم الباب بالجهة الشمالية الغربية للجامع. وأقام على يمينه سنة 873 هـ/1468م مئذنة رشيقة من أجمل مآذن القاهرة، ثم قام السلطان المملوكي قانصوه الغوري ببناء المئذنة ذات الرأسين، وهي أعلى مآذن الأزهر. و تعتبر طرازا فريدا من المآذن بالعمارة المملوكية.

وكان عبد الرحمن كتخدا قد أضاف سنة 1167 هـ/1753م مقصورة جديدة لرواق القبلة يفصل بينها وبين المقصورة الأصلية قوائم من الحجر ترتفع عنها ثلاث درجات، وبها ثلاثة محاريب.

أبواب الأزهر

وفي الواجهة الشمالية الغربية التي تطل حاليا على ميدان الأزهر أقام كتخدا بابا يتكون من بابين متجاورين، عرف أحدهما بباب المزينين لأن المزينين (الحلاقين) كانوا يجلسون أمامه. والثاني أطلق عليه باب الصعايدة و بجوارهما مئذنة لا تزال قائمة حاليا. ويؤدي البابان إلى رواق الصعايدة أشهر أروقة الأزهر. وسمي بالصعايدة، لأن الطلاب الصعايدة كانوا يقطنون بالرواق.

أعمال التجديد

وفي عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، جددت المدرسة الطيبرسية في شوال 1315 هـ/1897م. وأنشأ رواقا جديدا يسمى بالرواق العباسي نسبة إليه، وهو أكبر الأروقة. هو مسجد وجامعة في القاهرة في مصر، بناه جوهر الكاتب الصقلي (إلياس الصقلي) قائد جند أبي تميم معد بعد عام من فتح الفاطميين لمصر، وبعد أن أنشأوا قاعدة ملكهم الجديدة مباشرة (القاهرة جمادى الأولى عام 259 رمضان 361). وفتح للصلاة في شهر رمضان عام 361هـ (حزيران – تموز سنة 972) وبني المسجد في الجنوب الشرقي من المدينة على مقربة من القصر الكبير الذي كان موجودا حينذاك بين حي الديلم في الشمال وحي التراك في الجنوب. وكتب جوهر بدائر القبة نقشا تاريخه عام 360هـ. وتجد نصه في المقريزي (الخطط، ج2، ص273، س26-24) .وقد زاد المستنصر والحافظ في بناء المسجد شيئا قليلا. وتغير الحال في عهد الأيوبيين، فمنع صلاح الدين الخطبة من الجامع وقطع عنه كثيرا مما أوقفه عليه الحاكم، وانقضى نحو قرن من الزمان قبل أن يستعيد الجامع الأزهر عطف الولاة ووجوه البلاد عليه، ولما جاء الملك الظاهر بيبرس زاد في بنائه وشجع التعليم فيه وأعاد الخطبة إليه في عام 665هـ = 1267-1266م. وحذا حذوه كثير من الأمراء. ومنذ ذلك العهد ذاع صيت المسجد وأصبح معهدا علميا يؤمه الناس من كل فج، ولقي الأزهر من عناية البلاد الشيء الكثير، وزاد في مجده أن غزوات المغول في المشرق قضت على معاهد العلم هناك، وأن الإسلام أصابه في المغرب من التفكك والانحلال ما أدى إلى دمار مدارسه الزاهرة. وفي عام 702هـ (1303-1302م) خرّب زلزال المسجد، فتولى عمارته الأمير سيهاد ثم جددت عمارة الجامع في عام 725هـ (1325م) على يد محتسب القاهرة محمد بن حسن الأسعردي (من سعرد في إرمينيه). وحوالي ذلك العهد بنى الأميران طيبرس وألبغا عبد الواحد مدارس بالقرب من الأزهر، إذ بنى طيبرس المدرسة الطيبرسية عام 709هـ (1310-1309م) وبنى ألبغا عبد الواحد المدرسة الألبغاوية عام 740هـ (1340م) وقد الحقت هاتان المدرستان بالأزهر فيما بعد.

وكان قايتباي أكثر الناس رعاية للجامع الأزهر في القرن التاسع الهجري، فقد أكمل ما زاده في بناء المسجد عام 900هـ (-1494 1495م) أي قبل وفاته بوقت قصير. وكان له الفضل كذلك في إقامة منشآت للفقراء والعلماء، وقد أثبتت النقوش بيان ما زاده في المسجد ويذكر ابن إياس (ج2، ص167، ص22 وما بعدها) أنه كان لهذا الوالي عادة غريبة، فقد اعتاد الذهاب إلى الجامع الأزهر متخفيًا في زي مغربي ليصلي وليسمع ما يقوله الناس عنه، على أن ابن إياس لم يذكر لنا النتيجة التي أفضى إليها هذا العمل. وبنى قانصوه الغوري آخر المماليك (922-906هـ. 1516-1500م) المئذنة ذات البرجين. وفي العهد العثماني كان الفاتح سليم شاه كثيرا ما يزوره ويصلي فيه، وقد أمر بتلاوة القرآن فيه وتصدق على القراء المجاورين طلبة العلم الشرعي (تاريخ ابن إياس، ج3، ص116، و132 و246 و309 و313). وتجدر بنا الإشارة إلى الزاوية التي أقيمت ليصلي فيها المكفوفون وسميت بزاوية العميان، فقد بناها عثمان كتخدا القزدوغلي (قاصد أوغلي) في عام 1148هـ (-1735 1736م). ويظهر أنّ عبد الرحمن كتخدا المتوفي (عام 1190هـ1776-م) كان من أقارب عثمان القزدوغلي. وكان عبد الرحمن من أكثر الناس إحسانا إلى الأزهر. فقد بنى مقصورة وأحسن تأثيثها، وأقام قبلة للصلاة، ومنبرا للخطابة، وأنشأ مدرسة لتعليم الأيتام، وعمل صهريجا للمياه، وشيّد له قبرا دفن فيه، ووسط المباني الجديدة بين المدرسة الطيبرسية والمدرسة الألبغاوية (التي حرف اسمها إلى الإبتغاوية فيما بعد). ولم تكن النهضة في عهد محمد علي تعطف على الأزهر أوّل الأمر ولكن الخديويين في العهد الأخير بذلوا جهدهم للإبقاء على ما لهذا الجامع من مجد وصيت

التاريخ

استغرق بناء الجامع عامين وأقيمت فيه أول صلاة جمعة في 7 رمضان 361 هـ/972م. وفي سنة 378هـ/988م جعله الخليفة العزيز بالله جامعة يدرس فيها العلوم الباطنية الإسماعيلية للدارسين من إفريقيا وآسيا. وكانت الدراسة بالمجان. وأوقف الفاطميون عليه الأحباس للإنفاق منها على فرشه وإناراته وتنظيفه وإمداده بالماء، و رواتب الخطباء والمشرفين والأئمة والمدرسين والطلاب. وبعدما تولى صلاح الدين سلطنة مصر منع إقامة صلاة الجمعة به وجعله جامعا سنيا. وأوقفت عليه الأوقاف وفتح لكل الدارسين من شتى أقطار العالم الإسلامي. وكان ينفق عليهم ويقدم لهم السكن والجراية من ريع أوقافه. وكانت الدراسة والإقامة به بالمجان. وللأزهر فضل كبير في الحفاظ على التراث العربي بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد وعلى اللغة العربية من التتريك واللغة التركية أيام الحكم العثماني لمصر سنة 1517م وأيام محمد علي باشا سنة 1805.

دوره في الحياة السياسية

وعلاوة على دوره الديني كان للأزهر دوره وتأثيره في مجريات الأحداث السياسية التي مرت بمصر. فمنه كانت تنطلق المظاهرات المنددة بالاحتلال والعدوان، سواء في مصر أو البلاد الإسلامية، ولا تزال السلطات حتى الآن تحسب الحساب لإنطلاق هذه الهبات.

وكان للأزهر مواقفه المشهودة في التصدي لظلم الحكام والسلاطين المماليك لأن علماءه كانوا أهل الحل والعقد أيام المماليك. ففي سنة 1209هـ/1795م، يروي الجبرتي في يومياته بأن أمراء مماليك إعتدوا على بعض فلاحي مدينة بلبيس فحضر وفد منهم إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي وكان شيخا للأزهر وقتها. وقدموا شكواهم له ليرفع عنهم الظلم. فغضب وتوجه إلى الأزهر، وجمع المشايخ. وأغلقوا أبواب الجامع. وأمروا الناس بترك الأسواق والمتاجر. واحتشدت الجموع الغاضبة من الشعب. فأرسل إبراهيم بك شيخ البلد لهم أيوب بك الدفتردار، فسألهم عن أمرهم. فقالوا: نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات (الضرائب)، وخشي زعيم الأمراء مغبة الثورة فأرسل إلى علماء الأزهر يبرىء نفسه من تبعة الظلم، ويلقيها على كاهل شريكه مراد بك. وأرسل في الوقت نفسه إلى مراد يحذره عاقبة الثورة. فاستسلم مراد بك ورد ما اغتصبه من أموال. وأرضى نفوس المظلومين. لكن العلماء طالبوا بوضع نظام يمنع الظلم وبرد العدوان. و اجتمع الأمراء مع العلماء. وكان من بينهم الشيخ السادات والسيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ الأمير. و أعلن الظالمون أنهم تابوا والتزموا بما اشترطه عليهم العلماء. وأعلنوا أنهم سيبطلون المظالم والضرائب والكف عن سلب أموال الناس والإلتزام بإرسال صرة مال أوقاف الحرمين الشريفين والعوائد المقررة إليهم وكانوا ينهبونها. وكان قاضي القضاة حاضرا. فكتب على الأمراء وثيقة أمضاها الوالي العثماني وإبراهيم بك ومراد بك شيخا البلد.

عبدالناصر فوق المنبر

وفي عام 1956م قام الرئيس جمال عبد الناصر فوق منبر الأزهر ليعلن القتال ضد العدوان الثلاثي (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل).

يعد رابع جامع في مصر و أول مسجد جامع في مدينة القاهرة

رمضان والأزهر

وطوال تاريخه كان لشهر رمضان في الجامع الأزهر طابع خاص، حيث كان الحكام يتنافسون في إيقاف الأوقاف الكثيرة عليه. ولعب الجامع دورا مهما في التعليم وكفالة الأيتام وتحفيظ القرآن، وكانت تصرف فيه مبالغ كبيرة على طلاب العلم، عرفت باسم «الجراية». وفي رمضان كانت أيام البهجة تعم الشهر كله. فقد كان يصرف لطلابه «الكساوى»، وكان يصرف للطفل قميص وجبة وطاقية وقبقاب (حذاء من الخشب)، وفي بعض الأوقاف كان يستزاد من الخيرات في ذلك الشهر الكريم، وكان يصرف أيضا لأسرة الطالب الأطعمة والكساوى. وفي وقت الإفطار كانت كميات الطعام تزداد بشكل أكثر اتقانا، وتزداد كمية «الثريد» والحلوى، وفي نهاية الشهر كان يصرف للطلبة ما يشبه كعك العيد والمكسرات والتمر. وكان الأزهر يتلألأ في شهر رمضان ويسبح بالأنوار المبهرة، وفيه كانت تزداد كمية الشموع المضاءة والزيت اللازم لإضاءة القناديل وكان لهذه الزيادة حساب في الأوقاف الموقوفة في شهر رمضان. وكانت القناديل تتناثر في أرجاء المسجد من وقت الإفطار حتى السحور في مدخل المسجد والصحن ورواق القبلة الذي يجلس فيه الطلبة والمتعبدون يتلون القرآن والتواشيح حتى صلاة الفجر. وعلى مآذن الأزهر كان المؤذن يصعد ويبدأ في تلاوة التواشيح والتسابيح حتى وقت آذان الفجر، وكان هذا يتم يوميا في شهر رمضان. وحاليا نجد مائدة الرحمن التي تقام في الجامع الأزهر، في محاولة للتواصل مع تلك المظاهر العريقة، ويقصدها كثير من المصرين والسائحين الذين يأتون لزيارة المسجد باعتباره أثرا إسلاميا عظيما، ومنارة للعلم والعبادة.

نظام التعليم بالأزهر

شهد الأزهر أول حلقة درس تعليمي عندما جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان في (صفر 365 هـ/أكتوبر 975م) ليقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت. ثم قام الوزير يعقوب بن كلس الفاطمي بتعيين جماعة من الفقهاء للتدريس و أجري عليهم رواتب مجزية، وأقام لهم دورا للسكن بجوار المسجد. وكان يطلق عليهم المجاورون وبهذا اكتسب الأزهر لأول مرة صفته العلمية باعتباره معهدا للدراسة المنظمة. وظل الأزهر على هذا المنوال من تدريس الفقه الشيعي وتعليم وتأهيل دعاة مذهب الفاطميين. حتى توقفت الدراسة به تماما

فقل أكثر من ألف عام أنشأ القائد جوهر الصقلي بأمر من المعز لدين الله، الخليفة الفاطمي، ليؤدي دوره كمنارة للعلم للتعليم والبحث في علوم الدين والدنيا. ويعد الجامع الأزهر رابع جامع أنشئ في مصر وأول جامع أقيم بمدينة القاهرة. وتم وضع حجر الإساس له في 14 رمضان سنة 359 هجرية (971 م)، وتم بناؤه في سنتين. وافتتح الجامع للصلاة لأول مرة في رمضان سنة 361 هجرية. ولم يلبث أن تحول إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعصرية، ويجتمع فيها طلاب العلوم من كافة الأقطار. ومع تعاقب الحكام على حكم مصر ظل الجامع الأزهر موضع رعاية ملوكها وسلاطينها وأمرائها، مما نجم عنه ضياع أكثر معالمه الفاطمية، حتى أصبح بوضعه الحالي حصيلة إضافات من العمران ضمت إليه في أزمان متتابعة. فقد كان الأزهر أول ما أقيم يتكون من صحن المسجد الحالي المكشوف وبيت الصلاة المكشوف الذي كان يقع إلى شمال الصحن الحالي، وكان له جانبان أيمن وأيسر وفيهما مبان، فكان في كل من الجانبين الأيمن والأيسر ثلاثة أروقة. ثم توالت الإضافات والزيادات وأضيفت للمبنى أروقة جديدة حتى أصبح الأزهر اليوم متحفا للفن الإسلامي في مصر.

والجامع في شكله الحاضر بناء فسيح يقوم على أرض مساحتها 12000 متر مربع يحيط به سور مربع الشكل تقريبا وبه ثمانية أبواب، وله خمس مآذن مختلفة الطراز لأنها بنيت في عصور متفاوتة. وكان للأزهر عشرة محاريب أزيل أربعة منها وبقي الآن ستة منها تتفاوت في الجمال والإتقان المعماري. وللأزهر ثلاث قباب أجملها وأكبرها تلك التي تقوم فوق المدرسة الجوهرية. ويزين الجامع الأزهر 380 عمودا من الرخام الجميل.

عمارته

وكان الأزهر أول مسجد جامع أنشئ في مدينة القاهرة، لهذا كان يطلق عليه جامع القاهرة. وكان عبارة عن صحن تطل عليه ثلاثة أروقة، أكبرها رواق القبلة. وكانت مساحته وقت إنشائه تقترب من نصف مساحته الآن، ثم أضيفت له مجموعة من الأروقة ومدارس ومحاريب ومآذن، غيرت من معالمه، عما كان عليه من قبل. و أول عمارة له قام بها الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله.

عندما زاد في مساحة الأروقة، وأقام قبة جصية منقوشة نقشا بارزا. وفي العصر المملوكي عنى السلاطين المماليك به، بعدما كان مغلقا في العصر الأيوبي. بعده قام الأمير عز الدين أيدمر بتجديد الأجزاء التي تصدعت منه. وضم ما اغتصبه الأهالي من ساحته. واحتفل فيه بإقامة صلاة الجمعة في يوم 18 ربيع الأول سنة 665 هـ/19 من نوفمبر 1266م).

أنشأه جوهر الصقلي وافتتح في 14رمضان سنة 971 م

و في عهد السلطان المملوك